Bilad Alrafidain Journal of Humanities and Social Science Vol. 8, No. 1 **ISSN: 2788-6026**
Doi: 10.54720/bajhss/2026.080104 **Pages: 32-45**

التنافس الفرنسي-الألماني على تسليح جيوش دول البلقان وانعكاساته على موازين القوى العسكرية عشية 1914

م. د. هشام صبحي ابراهيم
كلية التربية المفتوحة، المديرية العامة لتربية ديالى، وزارة التربية، ديالى، 32001، العراق.
Husham.subhe90@yahoo.com

الملخص
يتناول هذا البحث ظاهرة التنافس الفرنسي-الألماني على تسليح جيوش دول البلقان في العقود التي سبقت اندلاع الحرب العالمية الأولى. وبرهن على أن التنافس لم يكن مجرد صراع تجاري أو دبلوماسي، بل كان عاملا استراتيجيا حاسما أدى إلى إعادة تشكيل موازين القوى العسكرية في المنطقة، وساهم بشكل مباشر في تهيئة الظروف التي أدت إلى انفجار الصراع عام 1914. يتتبع البحث جذور الصراع منذ مؤتمر برلين 1878، ويفكك آليات التغلغل العسكري المتمثلة في البعثات العسكرية (مثل بعثة فون دير غولتز (von der Goltz) الألمانية في الدولة العثمانية) وعقود التسليح والقروض المالية (مدافع كروب الألمانية مقابل شنايدر الفرنسية). ويوضح كيف انقسمت دول البلقان إلى محورين متناحرين: محور ألماني (الدولة العثمانية، بلغاريا، رومانيا) ومحور فرنسي (صربيا، اليونان). وقد كانت حروب البلقان (1912-1913) بمثابة الاختبار الميداني الذي كشف عن فعالية الأسلحة والعقائد المختلفة، وأفرز صعود صربيا كقوة إقليمية وهزيمة حلفاء ألمانيا. تخلص الدراسة إلى أن ميزان القوى الجديد الذي نشأ في البلقان عشية أزمة سراييفو لعب دورا محوريا في حسابات القوى العظمى؛ إذ زاد من جرأة روسيا وفرنسا، ودفع النمسا-المجر وألمانيا نحو خيار الحرب الوقائية، محولا سباق تسلح إقليمي إلى فتيل أشعل حربا عالمية.
الكلمات المفتاحية: التنافس الفرنسي-الألماني، سباق التسلح، دول البلقان، حروب البلقان، ميزان القوى، البعثات العسكرية، كروب، شنايدر، الحرب العالمية الأولى، المسألة الشرقية.

The Franco-German Competition to Arm the Armies of The Balkan States and Its Repercussions on The Balance of Military Power on The Eve of 1914

Lect. Dr. Husham Subhi Ibrahim
Open College of Education, Directorate General of Diyala Education, Ministry of Education, Diyala, 32001, Iraq.
Husham.subhe90@yahoo.com

Abstract
This research examines the phenomenon of Franco-German competition to arm the armies of the Balkan states in the decades preceding the outbreak of World War I. It argues that this rivalry was not merely a commercial or diplomatic conflict, but a decisive strategic factor that reconfigured the military balance of power in the region and directly contributed to creating the conditions that led to the eruption of conflict in 1914. The study traces the roots of this rivalry back to the Congress of

Berlin in 1878 and deconstructs the mechanisms of military penetration, embodied by military missions (such as the German mission of von der Goltz in the Ottoman Empire) and arms contracts tied to financial loans (Germany's Krupp artillery versus France's Schneider). It illustrates how the Balkan states became divided into two rival blocs: a German-oriented axis (the Ottoman Empire, Bulgaria, and Romania) and a French-oriented axis (Serbia, Greece). The Balkan Wars (1912-1913) served as the field test that revealed the effectiveness of the competing weapons and doctrines, resulting in the rise of Serbia as a regional power and the defeat of Germany's allies. The study concludes that the new balance of power that emerged in the Balkans on the eve of the Sarajevo crisis played a pivotal role in the calculations of the Great Powers; it emboldened Russia and France while pushing Austria-Hungary and Germany towards the option of a preventive war, thereby turning a regional arms race into the fuse that ignited a world war.

Keywords: Franco-German Rivalry, Arms Race, Balkan States, Balkan Wars, Balance of Power, Military Missions, Krupp, Schneider, World War I, Eastern Question.

المقدمة

شكلت الحقبة الممتدة من نهاية الحرب الفرنسية-البروسية عام 1871 وحتى صيف عام 1914 فصلا فريدا ومضللا في تاريخ القارة الأوروبية، عرف لاحقا باسم "السلام المسلح". ففي الظاهر، كانت أوروبا تعيش عصرا ذهبيا من الازدهار الاقتصادي، والتقدم العلمي، والابتكارات الثقافية، وغياب الصراعات الكبرى بين القوى العظمى. لكن تحت هذا السطح البراق، كانت القارة أشبه بمرجل يغلي ببطء، إذ كانت التيارات العميقة للقومية المتطرفة، والطموحات المتصادمة، وسباق التسلح المحموم، تنذر بانفجار وشيك. لقد أدت الثورة الصناعية الثانية إلى عسكرة غير مسبوقة للمجتمعات الأوروبية، فصارت المصانع تنتج البنادق والمدافع والبوارج بوتيرة لم يشهدها التاريخ من قبل، بينما كانت هيئات الأركان العامة في برلين وباريس وفيينا وبطرسبرغ تضع خططا هجومية معقدة تفترض حتمية الحرب [1]. وفي قلب المنظومة المتأزمة، تشكلت محاور جيوسياسية كبرى قسمت القارة إلى معسكرين مسلحين: الحلف الثلاثي الذي جمع ألمانيا والنمسا-المجر وإيطاليا، والوفاق الثلاثي الذي ضم فرنسا وروسيا وبريطانيا، مما حول أوروبا إلى شبكة معقدة من الالتزامات العسكرية التي جعلت السلام هشا ومعتمدا على توازن الرعب[2]، [3].

كان الصراع الفرنسي-الألماني هو الصدع الجيولوجي الرئيس الذي مر تحت بنية السلام الهش. فهزيمة فرنسا المذلة في معركة سيدان عام 1870، وتتويج الإمبراطور الألماني فيلهلم (Wilhelm) الأول قيصرا على الرايخ الثاني في قاعة المرايا بقصر فرساي، وفقدان مقاطعتي الألزاس واللورين الغنيتين، كل ذلك شكل جرحا غائرا في الكبرياء الوطني الفرنسي. ومنذ تلك اللحظة، أصبحت عقيدة "الانتقام" (Revanche) قوة دافعة شبه مقدسة في السياسة الفرنسية. في المقابل، كرس المستشار الألماني الأسطوري أوتو فون بسمارك (Bismarck) [4] عبقريته الدبلوماسية لعزل فرنسا ومنعها من إيجاد حلفاء يمكن أن يساعدوها في تحقيق انتقامها، وهو ما نجح فيه لعقدين من الزمن [5]. لكن مع صعود القيصر فيلهلم الثاني وتبنيه لسياسة خارجية طموحة وعدوانية عرفت بـ "سياسة العالم" (Weltpolitik)، بدأت منظومة بسمارك في الانهيار، أدت السياسة إلى تنفير بريطانيا عبر سباق التسلح البحري، ودفعت روسيا إلى أحضان فرنسا، وهو ما توج بالتحالف الفرنسي-الروسي المصيري عام 1894. لقد تحقق كابوس بسمارك الأسوأ: أصبحت ألمانيا مهددة بحرب على جبهتين، وأصبح الصراع الفرنسي-الألماني هو المحور الذي تدور حوله كل أزمات السياسة الدولية، من المغرب إلى الشرق الأقصى [6]، [7].

لم يكن هناك مسرح لهذا الصراع المحوري أكثر خطورة وقابلية للاشتعال من شبه جزيرة البلقان. كانت المنطقة، التي وصفت بـ برميل بارود أوروبا، تشهد عملية تفكك طويلة ومؤلمة للدولة العثمانية، "رجل أوروبا المريض، مما خلق فراغا في السلطة سارعت القوى الكبرى والدول الناشئة لملئه. كانت الإمبراطورية النمساوية-المجرية، وهي كيان متعدد القوميات يخشى من صعود القومية السلافية داخل حدوده، تتطلع إلى التوسع جنوبا في البوسنة والهرسك. وفي المقابل، نصبت روسيا القيصرية نفسها "حامية للشعوب السلافية والأرثوذكسية"، وسعت بلا هوادة لتحقيق حلمها التاريخي بالسيطرة على المضائق التركية والوصول إلى المياه الدافئة [8]. وفي خضم هذا الصدام الإمبراطوري، كانت دول البلقان الفتية – صربيا وبلغاريا واليونان ورومانيا – مدفوعة بأيديولوجيات قومية جامحة لتحرير "إخوانهم" الذين ما زالوا تحت الحكم العثماني وتوسيع حدود دولهم. وقد وصلت هذه التوترات

إلى نقطة الغليان خلال الأزمة البوسنية عام 1908، حين أعلنت فيينا ضمها الرسمي للبوسنة والهرسك، مما أثار غضبا صربيا عارما وأجبر روسيا على قبول الأمر الواقع تحت التهديد الألماني، في إذلال دبلوماسي لم تنسه سانت بطرسبرغ أبدا [9]، [10].

في هذا المناخ المشحون بالعداءات التاريخية والطموحات المتضاربة، تحول تسليح جيوش دول البلقان إلى ساحة رئيسة للتنافس الفرنسي-الألماني. لم تكن صفقات السلاح مجرد معاملات تجارية، بل كانت أدوات فعالة في خدمة الدبلوماسية وأدوات لفرض النفوذ. لقد أصبحت شركتا "كروب" الألمانية في إيسن و"شنايدر" الفرنسية في لو كروزو (Le Creusot) بمثابة ذراعين عسكريين لوزارتي خارجية بلديهما، إذ كانتا تتنافسان بضراوة على كل عقد لتزويد الجيوش البلقانية بالمدفعية والبنادق والذخيرة [11]. فكل شحنة من مدافع الميدان لم تكن مجرد قطع من الصلب، بل كانت تحمل معها التزاما طويل الأمد؛ فالجيش الذي يتبنى مدفع كروب الألماني يصبح معتمدا على ألمانيا في الحصول على القذائف وقطع الغيار والتدريب الفني، بل وحتى العقيدة العسكرية التي تملي كيفية استخدام السلاح في المعركة [12]. لقد كان بيع السلاح وسيلة لربط النخب العسكرية في دول البلقان إما ببرلين أو بباريس، وتحويل جيوشهم إلى وكلاء غير مباشرين في ميزان القوى الأوروبي الكبير [13].

تجاوز التنافس حدود بيع المعدات ليشمل إرسال بعثات عسكرية كانت مهمتها إعادة تشكيل الجيوش البلقانية على الصورة الألمانية أو الفرنسية. ولعل المثال الأكثر دلالة هو النفوذ العميق الذي حققته البعثة العسكرية الألمانية في الدولة العثمانية، والتي بلغت ذروتها تحت قيادة المارشال البارون "كولمار فون دير غولتز". لقد أمضى غولتز سنوات في إسطنبول، لم يكتف فيها بتدريب الجيش العثماني، بل أعاد هيكلته بالكامل على النموذج البروسي، وغرس في عقول جيل كامل من الضباط الأتراك، بمن فيهم قادة حركة "تركيا الفتاة"، إعجابا عميقا بالآلة العسكرية الألمانية [14]،[15]. وكرد فعل مباشر على هذا التغلغل الألماني الاستراتيجي في قلب الدولة العثمانية، كثفت فرنسا جهودها بشكل كبير، فأرسلت بعثاتها العسكرية الخاصة إلى اليونان وصربيا، وزودت جيشيهما بأحدث مدافعها الميدانية طراز 1897، بهدف خلق ثقل موازن للنفوذ الألماني-العثماني وضمان وجود حلفاء أقوياء ومجهزين جيدا في الخاصرة الجنوبية للنمسا-المجر [16]، [17].

يسعى البحث إلى تحليل الأبعاد للتنافس الفرنسي-الألماني على تسليح جيوش دول البلقان، وكيف أعاد هذا السباق تشكيل موازين القوى العسكرية في المنطقة بشكل حاسم عشية انفجار الصراع العالمي. للإجابة على هذه الإشكالية، يتعمق البحث في دراسة الجذور التاريخية لذلك التنافس منذ مؤتمر برلين، ثم ينتقل لتحليل آليات التغلغل العسكري عبر البعثات وعقود التسليح والقروض المالية، مستعرضا كيف أصبحت مدافع "كروب" و"شنايدر" رموزا لهذا الصراع على النفوذ. بعد ذلك، يقدم البحث دراسات حالة توضح كيف انقسمت دول البلقان بين محور تسليحي موال لألمانيا ضم الدولة العثمانية وبلغاريا، ومحور مقابل موال لفرنسا ضم صربيا واليونان. وفي الختام، يقوم البحث بتقييم الانعكاسات الميدانية لذلك السباق على نتائج حربي البلقان (1912-1913)، اللتين كانتا بمثابة بروفة دموية للحرب العالمية [18]، وكيف أن ميزان القوى الجديد الذي نشأ في المنطقة بعد هاتين الحربين لعب دورا حاسما في حسابات القوى العظمى خلال أزمة يوليو 1914، وساهم في دفعها نحو الهاوية [19] [20].

أولا: إشكالية البحث

تتمحور إشكالية هذا البحث حول فهم طبيعة الدور الذي لعبه التنافس الفرنسي-الألماني على تسليح دول البلقان في تحويل المنطقة من مجرد ساحة صراع إقليمية إلى محفز مباشر لاندلاع الحرب العالمية الأولى. ففي حين تركز الأدبيات التاريخية التقليدية على الأسباب الكبرى للحرب (التحالفات، الإمبريالية، القومية، سباق التسلح البحري)، غالبا ما يتم التعامل مع تسليح البلقان كعامل ثانوي أو مجرد عرض من أعراض التوتر العام. وعليه يسعى البحث إلى الإجابة على التساؤل المحوري التالي: إلى أي مدى تجاوز التنافس الفرنسي-الألماني على تسليح جيوش البلقان كونه مجرد صراع تجاري أو دبلوماسي، ليصبح عاملا استراتيجيا حاسما أعاد تشكيل ميزان القوى الإقليمي، وساهم بشكل مباشر في صياغة الحسابات العسكرية والقرارات السياسية للقوى العظمى خلال أزمة يوليو 1914؟

ويتفرع عن هذه الإشكالية الرئيسية مجموعة من الأسئلة الفرعية:

- ما هي الآليات (البعثات العسكرية، القروض، العقود الحصرية) التي استخدمتها كل من ألمانيا وفرنسا لفرض هيمنتها العسكرية على دول البلقان؟
- كيف أدى هذا التنافس إلى خلق محورين عسكريين متضادين في البلقان، وكيف انعكس ذلك على علاقات هذه الدول ببعضها البعض وبالقوى الكبرى؟
- كيف كانت حروب البلقان (1912-1913) بمثابة مختبر ميداني كشف عن مدى نجاح أو فشل النماذج التسليحية والعقائدية الألمانية والفرنسية؟

- وكيف أثر ميزان القوى الجديد الذي أفرزته حروب البلقان (صعود صربيا وهزيمة حلفاء ألمانيا) على تصورات كل من الوفاق الثلاثي والحلف الثلاثي للتهديدات والفرص، مما دفعهم نحو المواجهة الحتمية؟

ثانيا/ أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف المترابطة:

- جذور التنافس: تتبع الجذور التاريخية للتنافس الفرنسي-الألماني في البلقان انطلاقا من مؤتمر برلين 1878، وإظهار كيف تحول هذا التنافس من صراع سياسي إلى سباق تسلح محموم.
- تفكيك الآليات: تحليل الأدوات والآليات التي وظفتها القوتان في سباقهما، مع التركيز على دور البعثات العسكرية (فون دير غولتز نموذجا) والمنافسة الشرسة بين شركتي كروب وشنايدر كأذرع صناعية للسياسة الخارجية.
- رسم خريطة التحالفات: توضيح كيفية انقسام دول البلقان إلى محورين متناحرين بناء على مصادر تسليحها وعقيدتها العسكرية، محور ألماني (الدولة العثمانية، بلغاريا) ومحور فرنسي (صربيا، اليونان).
- تقييم النتائج الميدانية: دراسة حروب البلقان كحالة اختبار عملية، وإبراز كيف أن نتائجها الميدانية (انتصار الحلفاء المدعومين فرنسيا) أدت إلى إعادة تقييم جذرية للقوة العسكرية في المنطقة.
- إثبات الأثر الاستراتيجي: البرهنة على أن ميزان القوى الجديد في البلقان عشية 1914 لم يكن هامشيا، بل لعب دورا محوريا في حسابات القوى العظمى، إذ شجع جرأة فرنسا وروسيا من جهة، ودفع ألمانيا والنمسا-المجر نحو خيار الحرب الوقائية من جهة أخرى.

ثالثا: فرضية البحث

ينطلق البحث من فرضية مركزية مفادها أن التنافس الفرنسي-الألماني على تسليح جيوش البلقان لم يكن مجرد صراع اقتصادي على أسواق السلاح، بل كان بمثابة حرب بالوكالة (Proxy War) استراتيجية أدت إلى إعادة هيكلة جذرية لموازين القوى العسكرية في المنطقة. إن نتائج ذلك السباق التي حسمت ميدانيا في حروب البلقان 1912-1913 لصالح المحور المدعوم فرنسيا (صربيا واليونان) على حساب حلفاء ألمانيا (الدولة العثمانية وبلغاريا)، خلقت واقعا جيوسياسيا جديدا عشية 1914. هذا الواقع، المتمثل في صعود صربيا كقوة إقليمية وانهيار الحاجز العثماني-البلغاري الذي كانت تعتمد عليه ألمانيا والنمسا، هو الذي قلص هامش المناورة الدبلوماسية لدى القوى المركزية، وزاد من إحساسها بالحصار، مما جعل الخيار العسكري في أزمة سراييفو يبدو ضروريا وحتميا للحفاظ على نفوذها ومصداقيتها، وبالتالي حول سباق تسلح إقليمي إلى فتيل مباشر للحرب العالمية.

المبحث الأول

الجذور التاريخية للتنافس الفرنسي-الألماني وأبعاده في منطقة البلقان (1878-1908)

نتج التنافس الفرنسي-الألماني على تسليح دول البلقان عن تطورات جيوسياسية امتدت جذورها لعقود، وتحديدا منذ أن أعادت الحرب الفرنسية-البروسية عام 1871 تشكيل الخارطة السياسية لأوروبا بشكل جذري [17]. لقد أدى قيام الإمبراطورية الألمانية الموحدة على أنقاض الهزيمة الفرنسية المذلة إلى خلق حالة من العداء الدائم، إذ سعت ألمانيا تحت قيادة بسمارك إلى تكريس تفوقها عبر منظومة معقدة من التحالفات تهدف إلى عزل فرنسا [19]، بينما عاشت الجمهورية الفرنسية الثالثة على أمل "الانتقام" واستعادة الألزاس واللورين. وفي هذا السياق، كانت منطقة البلقان، التي تشهد انحسارا متواصلا للنفوذ العثماني، تمثل ساحة مثالية لإدارة هذا الصراع الخفي، إذ يمكن لأي من القوتين أن تبني نفوذا، أو تؤسس لتحالفات، أو تضعف خصمها عبر تسليح ودعم وكلاء محليين. إن الفترة الممتدة من مؤتمر برلين عام 1878 وحتى الأزمة البوسنية عام 1908 تمثل المرحلة التأسيسية التي تبلورت فيها معالم هذا التنافس، إذ رسمت خطوط الصدع الدبلوماسية الكبرى، وبدأت الصناعات العسكرية تؤدي دورا محوريا كأداة للسياسة الخارجية.

المحور الأول

بنية التحالفات الأوروبية وانعكاسها على البلقان: من مؤتمر برلين إلى الأزمة البوسنية

كان مؤتمر برلين عام 1878 بمثابة نقطة تحول حاسمة في تاريخ "المسألة الشرقية" ومنطقة البلقان. جاء المؤتمر كرد فعل من القوى الأوروبية الكبرى، وعلى رأسها بريطانيا العظمى والإمبراطورية النمساوية-المجرية، على معاهدة "سان ستيفانو" (San Stefano) [21] التي فرضتها روسيا المنتصرة على الدولة العثمانية المنهزمة في الحرب الروسية-التركية (1877-1878). لقد أوجدت معاهدة سان ستيفانو دولة بلغارية كبرى "Big Bulgaria" [22] تمتد من البحر الأسود إلى بحر إيجه، وهي دولة كانت ستصبح فعليا قاعدة متقدمة للنفوذ الروسي في قلب البلقان، مما شكل تهديدا مباشرا لمصالح فيينا في المنطقة ومصالح لندن في شرق

المتوسط [5]. وتحت ضغط التهديد بحرب أوروبية، دعا المستشار الألماني أوتو فون بسمارك، الذي نصب نفسه "وسيطا نزيها"(Honest Broker)؛ وهو دور ادعى من خلاله عدم وجود مصالح ألمانية مباشرة في البلقان، مؤكدا أن هدفه الوحيد هو التوسط بين القوى المتنافسة (خاصة روسيا وبريطانيا والنمسا-المجر) لمنع حرب أوروبية شاملة والحفاظ على استقرار القارة."، إلى مؤتمر في برلين لإعادة النظر في التسوية. كانت نتائج المؤتمر بمثابة إعادة رسم للخارطة السياسية للبلقان؛ إذ تم تقليص مساحة بلغاريا بشكل كبير، ومنحت الإمبراطورية النمساوية-المجرية الحق في "احتلال وإدارة" ولايتي البوسنة والهرسك العثمانيتين، بينما تم تأكيد استقلال كل من صربيا ورومانيا والجبل الأسود. لقد شعر الروس بإذلال عميق، معتبرين أنهم خدعوا وسلبت منهم ثمار انتصارهم العسكري، مما زرع بذور الضغينة تجاه ألمانيا والنمسا [9]، [23].

أدرك بسمارك بعد مؤتمر برلين أن السلام الأوروبي أصبح أكثر هشاشة من أي وقت مضى، وأن عليه أن يبني شبكة من التحالفات لتأمين الإمبراطورية الألمانية الوليدة وعزل فرنسا بشكل كامل. كانت خطوته الأولى هي التحالف المزدوج مع الإمبراطورية النمساوية-المجرية عام 1879، وهو حلف دفاعي موجه بالأساس ضد أي هجوم روسي محتمل. ثم توسع هذا الحلف عام 1882 ليصبح الحلف الثلاثي بانضمام إيطاليا، التي كانت غاضبة من استيلاء فرنسا على تونس عام 1881. لكن عبقرية بسمارك الدبلوماسية تجلت في قدرته على الحفاظ على علاقة مع روسيا في الوقت نفسه، من خلال "عصبة الأباطرة الثلاثة" أولا، ثم عبر "معاهدة إعادة التأمين" السرية عام 1887، التي ضمنت حياد روسيا في حال نشوب حرب فرنسية-ألمانية [6]. هذه المنظومة المعقدة نجحت في الحفاظ على السلام وتهميش فرنسا لعقدين، لكنها كانت تعتمد بشكل كلي على مهارة بسمارك. لقد انعكست هذه السياسة على البلقان عبر دعم النفوذ النمساوي كوسيلة لكبح جماح روسيا، مع محاولة الحفاظ على علاقات جيدة مع السلطان عبد الحميد الثاني في إسطنبول [2]، [24].

جاء الانهيار الدراماتيكي لتلك المنظومة مع إقالة بسمارك عام 1890 وصعود القيصر الشاب فيلهلم الثاني، الذي أحدث قطيعة جذرية مع إرث بسمارك الدبلوماسي، وتبنى مع مستشاريه الجدد سياسة خارجية طموحة عرفت باسم فيلت بوليتيك (Weltpolitik). لم تعد هذه السياسة، التي تعني حرفيا السياسة العالمية، تكتفي بدور ألمانيا كقوة قارية مهيمنة و"مشبعة"، بل سعت بقوة لتحويل ثقلها الصناعي والاقتصادي الهائل إلى نفوذ عالمي ملموس، وتحقيق "مكان تحت الشمس" بجانب الإمبراطوريات الاستعمارية القائمة. ولتحقيق هذا الطموح، أصبحت القوة البحرية هي الأداة المحورية؛ فمن خلال برنامج التسلح البحري الضخم (Flottenpolitik) الذي قاده الأدميرال تيربتز، حاولت ألمانيا بناء أسطول حربي قادر على تحدي الهيمنة البريطانية، ليس بالضرورة لهزيمتها، بل لإجبارها على احترام المطالب الألمانية ومنحها تنازلات استعمارية وسياسية. ترافق هذا التحدي البحري مع دبلوماسية أكثر صخبا ومواجهة، تجلت في تدخلات استفزازية مثل الأزمتين المغربيتين، بالإضافة إلى محاولات التغلغل الاقتصادي في مناطق استراتيجية كالدولة العثمانية عبر مشروع سكة حديد برلين-بغداد. وبدلا من أن تؤدي هذه السياسة إلى زيادة نفوذ ألمانيا، كانت نتيجتها عكسية تماما؛ فقد دفعت بريطانيا إلى التخلي عن عزلتها التقليدية والتقارب مع فرنسا وروسيا، مما أسفر عن تشكيل الوفاق الثلاثي الذي حاصر ألمانيا ومهد الطريق للمواجهة الكبرى. كان أول قرار كارثي لهذه الإدارة الجديدة هو الامتناع عن تجديد معاهدة إعادة التأمين مع روسيا عام 1890، بحجة أنها تتعارض مع التحالف النمساوي. لقد كان هذا القرار بمثابة هدية لا تقدر بثمن للدبلوماسية الفرنسية، التي كانت تبحث بيأس عن حليف للخروج من عزلتها. وجدت فرنسا وروسيا نفسيهما فجأة في مواجهة كتلة ألمانية-نمساوية معادية، فتقاربتا بسرعة، وبدأ التقارب بمساعدات مالية فرنسية ضخمة، وتطور إلى تفاهم سياسي، ثم توج بالتحالف العسكري الفرنسي-الروسي عام 1894 [25]. لقد تحقق الكابوس الذي عمل بسمارك طوال حياته على تجنبه: أصبحت ألمانيا محاصرة بين قوتين معاديتين، وأصبحت أوروبا منقسمة إلى معسكرين مسلحين. هذا التحالف الجديد غير الديناميكيات في البلقان بشكل جذري؛ فلم تعد روسيا وحيدة في مواجهة النمسا، بل أصبح بإمكانها الاعتماد على الدعم الفرنسي، مما شجعها على تبني سياسة أكثر حزما في دعم حلفائها السلاف، وعلى رأسهم صربيا [1].

وصلت هذه التوترات الجديدة إلى ذروتها في الأزمة البوسنية عام 1908. فبعد ثورة "تركيا الفتاة" في الدولة العثمانية، والتي أثارت حالة من الفوضى السياسية، رأت النمسا-المجر في ذلك فرصة سانحة لتحويل احتلالها الإداري للبوسنة والهرسك إلى ضم رسمي ونهائي. قام وزير الخارجية النمساوي، إيرنتال، بعقد صفقة سرية مع نظيره الروسي، إيزفولسكي، في لقاء بوخلاو، إذ وافقت روسيا على الضم مقابل دعم النمسا لمطلب روسيا بفتح المضائق التركية أمام سفنها الحربية. لكن إيرنتال تحرك بسرعة وأعلن الضم من جانب واحد قبل أن يتمكن إيزفولسكي من تأمين موافقة بريطانيا وفرنسا على الجزء الخاص به من الصفقة [26]. أثار هذا الإجراء غضبا عارما في صربيا التي كانت تعتبر البوسنة جزءا من أراضيها المستقبلية، وهددت بإعلان الحرب. شعرت روسيا بالخيانة والإذلال، وعندما حاولت دعم صربيا، تدخلت ألمانيا بكل ثقلها، إذ أعلن المستشار الألماني بولو أن ألمانيا ستقف "في درع

لامع" إلى جانب حليفتها النمسا في أي حرب قد تنشب. لم تكن روسيا، التي تعافت من هزيمتها الكارثية أمام اليابان عام 1905، في وضع يسمح لها بخوض حرب أوروبية، فاضطرت للتراجع وقبول الأمر الواقع، وأجبرت صربيا على فعل الشيء نفسه. كانت الأزمة انتصارا دبلوماسيا كبيرا للمعسكر الألماني-النمساوي، لكنها كانت أيضا كارثة استراتيجية على المدى الطويل؛ فقد رسخت العداء الصربي-النمساوي، وأججت القومية السلافية المتطرفة، وتركت في نفوس القادة الروس إحساسا عميقا بالمرارة وعزما على عدم السماح بتكرار هذا الإذلال مرة أخرى، وهو ما سيكون له عواقب وخيمة في أزمة يوليو 1914 [9] [10].

المحور الثاني

الصناعات العسكرية الفرنسية والألمانية: دوافع التصدير وسياسات النفوذ الاقتصادي والعسكري

لم يكن التنافس الدبلوماسي بين الكتل الأوروبية مجردا، بل كان مدعوما بقوة صناعية هائلة، خاصة في مجال إنتاج الأسلحة. فمع تسارع سباق التسلح في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، تحولت الشركات المصنعة للمدافع والسفن والبنادق إلى أدوات استراتيجية في يد الدول، إذ أصبح تصدير السلاح وسيلة فعالة لبناء النفوذ، وتأمين التحالفات، وإضعاف الخصوم. في هذا المضمار، برز عملاقان صناعيان كرمزين للتنافس الفرنسي-الألماني: شركة كروب (Krupp) في إيسن الألمانية، وشركة شنايدر-كروزو (Schneider-Creusot) الفرنسية. لقد كانت المنافسة بين هاتين الشركتين على الفوز بعقود تسليح جيوش دول البلقان انعكاسا مباشرا للصراع الأوسع بين باريس وبرلين على الهيمنة في أوروبا [11].

كانت شركة "كروب" تجسيدا للقوة الصناعية والعسكرية للإمبراطورية الألمانية. ارتبط تاريخ الشركة ارتباطا وثيقا بتاريخ صعود بروسيا ثم ألمانيا، إذ كانت مدافعها الفولاذية حاسمة في الانتصارات على النمسا في 1866 وعلى فرنسا في 1870. تمتعت كروب بعلاقة تكافلية مع الدولة الألمانية وهيئة أركانها؛ فالدولة كانت الزبون الأكبر، وكانت الشركة بدورها ذراعا أساسيا لتنفيذ سياستها الخارجية. كانت دوافع كروب لتصدير السلاح متعددة الأوجه. اقتصاديا، سمحت الصادرات الضخمة للشركة بالحفاظ على خطوط إنتاج ضخمة وتشغيلها بكامل طاقتها، مما خفض تكلفة الوحدة للسلاح المباع للجيش الألماني نفسه، وحقق أرباحا هائلة [27]. أما من الناحية السياسية والاستراتيجية، فكانت كل صفقة سلاح بمثابة غرس لنفوذ ألماني طويل الأمد. فالجيش الذي يشتري مدفعية كروب، مثل الجيش العثماني، يصبح معتمدا على ألمانيا ليس فقط في الحصول على المدافع نفسها، بل أيضا في الذخيرة، وقطع الغيار، والتدريب الفني، والأهم من ذلك، العقيدة العسكرية التي تأتي مع السلاح. لقد كان الخبراء والفنيون الألمان يرافقون شحنات السلاح لتدريب الضباط المحليين، مما يخلق جيلا من العسكريين ينظرون بإعجاب إلى ألمانيا ويعتمدون أساليبها التكتيكية، وهو ما يترجم في النهاية إلى تقارب سياسي [16] [28].

على الجانب الآخر من نهر الراين، كانت شركة "شنايدر-كروزو" تمثل الرد الفرنسي على هيمنة كروب. كواحدة من أكبر الشركات الصناعية في فرنسا، كانت شنايدر أيضا لاعبا رئيسيا في السياسة الخارجية لبلادها. كانت دوافع شنايدر للتصدير مشابهة لدوافع كروب من إذ المنطق الاقتصادي، لكن أهدافها الاستراتيجية كانت معكوسة تماما. فبينما كانت ألمانيا تسعى لتوسيع نفوذها شرقا وجنوبا، كانت فرنسا تستخدم صادراتها العسكرية كجزء من استراتيجية احتواء ألمانيا وبناء "جبهة ثانية" تحاصرها. كان التحالف مع روسيا هو حجر الزاوية في هذه الاستراتيجية، وقد تم تمويل عملية إعادة تسليح الجيش الروسي الضخمة بعد عام 1890 إلى حد كبير بقروض فرنسية ضخمة كانت مشروطة بشراء أسلحة فرنسية، خاصة مدفعية شنايدر [11]. لقد طبقت فرنسا نفس النموذج في البلقان؛ فكانت تقدم قروضا مالية مغرية لدول مثل صربيا واليونان، وهي دول كانت في حاجة ماسة للمال لتحديث جيوشها وبنيتها التحتية، بشرط أن يتم إنفاق جزء كبير من هذه القروض على شراء أسلحة من مصانع شنايدر. هذه السياسة، التي عرفت بـ "دبلوماسية الفرنك"، كانت فعالة للغاية في ربط الاقتصادات والمؤسسات العسكرية لهذه الدول بفرنسا، وخلق تكتل معاد للنفوذ الألماني-النمساوي في المنطقة. لقد كان كل مدفع شنايدر 75 ملم يباع لصربيا بمثابة رصاصة رمزية موجهة ليس فقط ضد الدولة العثمانية، بل أيضا ضد الإمبراطورية النمساوية-المجرية، حليفة ألمانيا الكبرى [19].

وهكذا، بحلول نهاية العقد الأول من القرن العشرين، كانت الساحة البلقانية قد أعدت بالكامل لتكون مسرحا للمواجهة. كانت التحالفات الأوروبية قد تبلورت بشكل نهائي، وأصبحت المنطقة خط التماس الأول بين المعسكرين. وفي الوقت نفسه، كانت الصناعات العسكرية الفرنسية والألمانية قد انخرطت بالكامل في هذا الصراع، محولة دول البلقان إلى زبائن وأدوات في لعبة أكبر بكثير. لم يعد السؤال هو هل ستنشب حرب في البلقان، بل متى ستنشب، وكيف سيؤثر نوع السلاح والتدريب الذي قدمته باريس وبرلين على نتيجة تلك الحرب، وبالتالي على ميزان القوى الأوروبي برمته عشية الكارثة الكبرى. لقد كانت الفترة من 1878 إلى 1908 هي فترة الإعداد ووضع قطع الشطرنج على الرقعة، وما تلاها كان بداية اللعبة الفعلية [29].

المبحث الثاني

السياسة التصديرية للصناعات العسكرية الفرنسية والألمانية وأثرها في تكوين النفوذ الاقتصادي والعسكري (1878-1908)

إذا كان الفصل الأول قد رسم ملامح المسرح الجيوسياسي الذي احتضن التنافس الفرنسي-الألماني، التي استخدمتها القوتان لترسيخ نفوذهما العسكري في تربة البلقان الخصبة بالتوترات. لم تكن المنافسة مجرد سباق لتصدير الأسلحة، بل كانت عملية معقدة ومنهجية تهدف إلى إعادة تشكيل جيوش المنطقة بأكملها، عقائديا وتنظيميا وتسليحيا، لتصبح امتدادا للفكر العسكري الألماني أو الفرنسي. لقد تجسدت هذه العملية في آليتين رئيسيتين متكاملتين: الأولى هي البرمجيات (Software) المتمثلة في البعثات العسكرية التي كانت تعمل على غرس العقائد القتالية وإعادة هيكلة الجيوش، والثانية هي المعدات (Hardware) المتمثلة في عقود التسليح والقروض المالية التي كانت تربط هذه الجيوش ماديا وتقنيا بالدولة المصدرة. إن دراسة هاتين الآليتين تكشف عن العمق الاستراتيجي الذي وصل إليه الصراع على النفوذ في البلقان.

المحور الأول

البعثات العسكرية الألمانية والفرنسية ودورها في ترسيخ النفوذ في البلقان

عملت البعثات العسكرية كأدوات للاستعمار الفكري والعقائدي، ولم تكن مجرد فرق من المستشارين الفنيين، حيث هدفت إلى السيطرة على عقل المؤسسة العسكرية للدولة المضيفة. فالجيش الذي يتدرب على يد ضباط ألمان، ويقرأ كتيبات مترجمة عن الألمانية، ويدرس تكتيكات معركة سيدان، سيصبح بطبيعته ميالا إلى ألمانيا سياسيا واستراتيجيا. والعكس صحيح بالنسبة للنفوذ الفرنسي. ولعل أبرز مثال على فاعلية هذه الأداة هو الدور التاريخي الذي لعبته البعثة العسكرية الألمانية في الدولة العثمانية. إن العلاقة العسكرية البروسية-العثمانية لم تبدأ مع فون دير غولتز، بل تعود جذورها إلى ثلاثينيات القرن التاسع عشر عندما استعان السلطان محمود الثاني بالكولونيل الشاب هيلموت فون مولتكه (الذي سيصبح لاحقا المارشال الأسطوري موحد ألمانيا) للمساعدة في إصلاح الجيش العثماني بعد كارثة القضاء على الإنكشارية. لكن النقلة النوعية حدثت في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، الذي كان مهووسا بفكرة تحديث جيشه لدرء الأطماع الأوروبية، وفي الوقت نفسه كان شديد الحذر من أي قوة داخلية قد تهدد عرشه [14]. بعد الهزيمة المرة في الحرب مع روسيا (1877-1878)، اقتنع السلطان بأن النموذج البروسي هو الأكثر كفاءة وانضباطا وولاء للعرش، فطلب رسميا من برلين إرسال بعثة عسكرية رفيعة المستوى.

وصل الجنرال "كولمار فون دير غولتز" إلى إسطنبول عام 1883، ليبدأ مهمة ستستمر، بشكل متقطع، لما يقرب من ثلاثة عقود، وستترك بصمة لا تمحى على الجيش العثماني. لم يكن غولتز مجرد مدرب، بل كان منظرا ومصلحا شاملا. لقد أدرك أن المشكلة ليست في شجاعة الجندي التركي، بل في التنظيم والقيادة والعقيدة. فقام بإعادة هيكلة هيئة الأركان العامة على النموذج الألماني، وأصلح نظام المدارس الحربية العثمانية (المكتب الحربي) بشكل جذري، وأدخل مناهج جديدة تركز على العلوم العسكرية الحديثة والتخطيط الاستراتيجي. كما أشرف على ترجمة عشرات الكتب والأدلة العسكرية الألمانية إلى التركية، وكان كتابه هو نفسه الأمة المسلحة (Das Volk in Waffen) بمثابة إنجيل للجيل الجديد من الضباط الأتراك، إذ غرس فيهم فكرة الحرب الشاملة والتعبئة الوطنية [15]. المفارقة التاريخية الكبرى هي أن نفس الضباط الذين تخرجوا من مدارسه وتشبعوا بأفكاره، مثل أنور باشا ومصطفى كمال، هم من سيقودون لاحقا ثورة "تركيا الفتاة" عام 1908 ضد السلطان عبد الحميد نفسه، وسيربطون مصير الإمبراطورية بألمانيا في الحرب العالمية الأولى. لقد نجح غولتز نجاحا منقطع النظير في جعل النخبة العسكرية العثمانية "ألمانية التفكير"، وهو ما ضمن لألمانيا حليفا استراتيجيا لا يقدر بثمن عند اندلاع الحرب [17].

لم تقف فرنسا مكتوفة الأيدي وهي ترى ألمانيا تبني هذا الصرح من النفوذ في إسطنبول. وكجزء من استراتيجيتها لاحتواء ألمانيا عبر تطويقها بحلفاء من الشرق والجنوب، كثفت باريس من نشاط بعثاتها العسكرية في الدول البلقانية التي كانت بطبيعتها معادية للدولة العثمانية أو منافسة للنفوذ النمساوي. كانت صربيا هي الجائزة الكبرى. فبعد الانقلاب الدموي عام 1903 الذي أطاح بأسرة أوبرينوفيتش الموالية للنمسا وأتى بأسرة كاراجورجيفيتش الموالية لروسيا، تحولت بلغراد بالكامل نحو الوفاق الثلاثي. رأت فرنسا في صربيا بروسيا البلقان، الدولة العسكرية الصغيرة والقوية التي يمكن استخدامها لتهديد الخاصرة الجنوبية للنمسا-المجر. استجابت فرنسا بسرعة للطلبات الصربية، فأرسلت بعثات عسكرية وأشرفت على إعادة تسليح الجيش الصربي وتدريبه وفقا للعقيدة الهجومية الفرنسية (attaque à outrance). وبالمثل، في اليونان، أدت الهزيمة الكارثية أمام الجيش العثماني (الذي أشرف على تدريبه الألمان) في حرب عام 1897 إلى صدمة وطنية وإدراك للحاجة الماسة إلى الإصلاح العسكري. وبعد انقلاب غودي العسكري عام 1909، دعت الحكومة اليونانية الجديدة بعثة عسكرية فرنسية بقيادة الجنرال إيدو (Eydoux) عام 1911 لتتولى مهمة إعادة بناء

الجيش اليوناني من الصفر [19]. لقد كانت هذه البعثات الفرنسية بمثابة رد مباشر ومنظم على عمل فون دير غولتز، إذ قسمت البلقان فعليا إلى معسكرين عقائديين: معسكر ألماني-عثماني يتبنى أفكار الانضباط والقوة النارية المنظمة، ومعسكر فرنسي-سلافي-يوناني يتبنى أفكار الهجوم والاندفاع (élan) ومرونة المدفعية الميدانية [23].

المحور الثاني

عقود التسليح والقروض المالية: دراسة مقارنة بين مدافع "كروب" الألمانية ومدافع "شنايدر" الفرنسية كأداة للهيمنة

كانت عقيدة الحرب والتدريب التي جلبتها البعثات العسكرية بحاجة إلى أدوات لتطبيقها، وهنا يأتي دور "المعدات" أو الأسلحة. لم تكن صفقات السلاح مجرد عمليات بيع وشراء، بل كانت تتويجا للعلاقة السياسية والعسكرية، وأداة لترسيخ التبعية التقنية والاقتصادية. في قلب هذا التنافس على تسليح البلقان، وقفت شركتا كروب و"شنايدر كعملاقين متنافسين، وكانت مدفعيتهما الميدانية رمزا لهذا الصراع. كانت شركة كروب، التي يشار إليها أحيانا بـ ترسانة الرايخ، تتمتع بسمعة أسطورية في صناعة الفولاذ والمدافع الثقيلة. اعتمدت الشركة على علاقتها الوثيقة بالجيش الألماني لتسويق منتجاتها، إذ كانت توصية من هيئة الأركان العامة في برلين كافية لإقناع أي دولة حليفة بجودة مدافعها. لقد كانت استراتيجية كروب في البلقان تعتمد على بيع أنظمة متكاملة من المدفعية، من مدافع الميدان الخفيفة إلى مدافع الهاوتزر الثقيلة ومدافع الحصار الضخمة، مما جعل الجيش العثماني والبلغاري لاحقا يعتمدان بشكل شبه كامل على خطوط إنتاجها [12]. كانت ألمانيا تستخدم هذه الصفقات كجزء من حزمة أوسع من التغلغل الاقتصادي، فغالبا ما كانت عقود السلاح مرتبطة بمشاريع بنية تحتية كبرى مثل بناء "سكة حديد بغداد"، التي كانت تخدم الأهداف الاستراتيجية الألمانية في الوصول إلى الخليج العربي وتهديد المصالح البريطانية في الهند [30].

كانت شركة شنايدر الفرنسية تمتلك سلاحا غير وجه حروب الميدان: "المدفع 75 ملم موديل 1897". كان هذا المدفع هو الأول في العالم الذي يستخدم نظام ارتداد هيدروليكي-هوائي، مما يسمح للماسورة بالارتداد والعودة إلى مكانها دون أن تتحرك العربة نفسها. كانت هذه الميزة تعني أنه يمكنه إطلاق النار بمعدل غير مسبوق (يصل إلى 20-30 قذيفة في الدقيقة) بدقة عالية، مما يمنح أي جيش يمتلكه تفوقا ساحقا في القوة النارية للمدفعية الميدانية [11]. أدركت فرنسا القيمة الاستراتيجية الهائلة لهذا السلاح، واستخدمته كأداة دبلوماسية رئيسية. لكن العديد من الدول التي كانت فرنسا ترغب في تسليحها، مثل صربيا، لم تكن تملك الموارد المالية اللازمة لشراء هذه التكنولوجيا باهظة الثمن. هنا برزت عبقرية "دبلوماسية الفرنك"؛ فقد كانت البنوك الفرنسية الكبرى، بتشجيع وتوجيه من الحكومة، تقدم قروضا ضخمة لحكومة بلغراد. لم تكن هذه القروض نقدية بالكامل، بل كانت في الغالب على شكل ائتمانات لشراء معدات عسكرية فرنسية. وبهذه الطريقة، حققت فرنسا عدة أهداف في آن واحد: قامت بتسليح حليف استراتيجي ضد النمسا، وخلقت سوقا مضمونة لصناعاتها العسكرية، وربطت الاقتصاد الصربي بها بشكل وثيق، مما جعل من الصعب على بلغراد تغيير ولائها السياسي. لقد كانت كل قذيفة تطلقها مدفعية شنايدر الصربية في حروب البلقان بمثابة تأكيد على نجاح هذه الاستراتيجية الفرنسية [31].

وهكذا، مع حلول العقد الثاني من القرن العشرين، كان الانقسام في البلقان قد اكتمل. في الشمال والشرق، وقفت جيوش الدولة العثمانية وبلغاريا ورومانيا، مجهزة إلى حد كبير بمدفعية كروب الألمانية، وتتدرب وفقا للعقيدة الألمانية الصارمة. وفي الوسط والجنوب، وقفت جيوش صربيا واليونان، مجهزة بمدفعية شنايدر الفرنسية الثورية، وتتبنى العقيدة الهجومية الفرنسية. لم يكن هذا مجرد انقسام في مصادر السلاح، بل كان انقساما في الفلسفة العسكرية والثقافة التنظيمية والولاء السياسي. لقد تحولت البلقان إلى رقعة شطرنج عسكرية، إذ كانت كل قطعة قد تم نحتها وتلوينها وتدريبها إما في ورشات عمل برلين أو باريس. وكانت حروب البلقان القادمة هي التي ستختبر فاعلية هذه القطع في مواجهة بعضها البعض، وستحدد ميزان القوى النهائي الذي سيواجهه العالم عندما دقت ساعة الحقيقة في سراييفو عام 1914 [20].

المبحث الثالث

التوجهات التسليحية لدول البلقان (1908-1913)

بعد أن ترسخت آليات التغلغل العسكري الفرنسي والألماني في البلقان، بدأت دول المنطقة تتخذ مواقف أكثر وضوحا، إذ انحازت كل منها إلى أحد المعسكرين الكبيرين بناء على حساباتها الاستراتيجية، وعداءاتها التاريخية، واحتياجاتها العسكرية، وطبيعة الضغوط والإغراءات التي تعرضت لها. لم تكن هذه الاختيارات عشوائية، بل كانت نتاجا لتفاعل معقد بين الطموحات القومية المحلية وديناميكيات الصراع بين القوى العظمى. شهدت الفترة الممتدة من الأزمة البوسنية عام 1908 وحتى اندلاع حرب البلقان الأولى عام 1912 تبلور محورين تسليحيين شبه واضحين: محور موال لألمانيا وقوى المركز، وآخر موال لفرنسا وقوى الوفاق. يقدم هذا

الفصل دراسة حالة معمقة لهذين المحورين، محللا دوافع كل دولة في اختيار مصدر تسليحها، وكيف أثر هذا الاختيار على عقيدتها العسكرية واستعدادها للصراعات القادمة.

المحور الأول

النفوذ الألماني في الدولة العثماني وبلغاريا رومانيا (1908-1913)

تكون المحور الموالي لألمانيا في البلقان من ثلاث قوى مختلفة الأهداف، جمعتها رؤية مشتركة لألمانيا كشريك استراتيجي. وشكلت الدولة العثمانية حجر الأساس في هذا المحور، إذ تعززت علاقتها العسكرية مع ألمانيا بشكل كبير بفضل جهود الجنرال فون دير غولتز، وصلت إلى ذروتها بعد ثورة تركيا الفتاة عام 1908. لقد كان قادة جمعية الاتحاد والترقي الجدد، وعلى رأسهم الثلاثي (أنور وطلعت وجمال)، من أشد المعجبين بالنموذج الألماني، ليس فقط لكفاءته العسكرية، بل أيضا لكونه نموذجا لسلطة مركزية قوية تجمع بين التحديث والحكم الاستبدادي، وهو ما كانوا يسعون لتطبيقه. رأى اولئك القادة في ألمانيا القوة الوحيدة القادرة على حماية الإمبراطورية من الأطماع الروسية والبريطانية، كما أنها لم تكن قوة استعمارية تقليدية في الشرق الأوسط مثل خصومها [26]. ترجم هذا التقارب السياسي إلى اعتماد شبه كلي على ألمانيا في مجال التسليح. تدفقت الطلبيات الضخمة على شركة كروب لتزويد الجيش العثماني بأحدث مدافع الميدان والهاوتزر، وعلى شركة ماوزر (Mauser) لتزويده بالبنادق. هذا الاعتماد لم يكن مجرد استيراد للمعدات، بل كان استيرادا للعقيدة القتالية الألمانية التي تركز على التخطيط الدقيق، والانضباط الصارم، وأهمية القوة النارية الكثيفة والمدفعية الثقيلة في حسم المعارك. لكن هذا التحديث، رغم أهميته، عانى من مشاكل هيكلية عميقة، أبرزها الفساد، والصراعات الداخلية بين الضباط، وصعوبة استيعاب التكنولوجيا الجديدة وتطبيق التكتيكات المعقدة في جيش ضخم ومتنوع الأعراق [28].

أما بلغاريا، التي عرفت بـ بروسيا البلقان لقوتها العسكرية وتنظيمها، فقد كانت حالتها أكثر تعقيدا. فبالرغم من كونها دولة سلافية حررتها روسيا من الحكم العثماني، إلا أن علاقاتها مع سانت بطرسبرغ ساءت بشكل كبير بسبب ما اعتبرته خيانة روسية في مؤتمر برلين الذي قلص حدودها. وكان يحكمها أمير من أصل ألماني، فرديناند الأول، الذي كان بطبيعته ميالا نحو قوى المركز. الأهم من ذلك، أن طموحات بلغاريا القومية كانت تتصادم بشكل مباشر مع طموحات صربيا واليونان، حلفاء الوفاق، خاصة فيما يتعلق بالسيطرة على إقليم مقدونيا. لذلك، رأت صوفيا في التحالف مع ألمانيا والنمسا-المجر ورقة رابحة لموازنة النفوذ الروسي-الصربي وتحقيق أهدافها التوسعية [1]. على الصعيد العسكري، كان الجيش البلغاري منظما بشكل ممتاز على النسق الألماني، واعتمد بشكل كبير على الأسلحة الألمانية والنمساوية (من شركة سكودا). لقد استثمرت بلغاريا بكثافة في مدفعية الميدان الثقيلة ومدفعية الحصار من طراز كروب وسكودا، وهو ما منحها تفوقا نوعيا في هذا المجال على جيرانها، وهو ما ظهر جليا في حصارها الناجح لمدينة أدرنة الحصينة خلال حرب البلقان الأولى. لقد كانت العقيدة العسكرية البلغارية مزيجا من الانضباط الألماني والروح القتالية الشرسة، مما جعل جيشها القوة الأكثر تنظيما وفعالية في البلقان عشية 1912 [18].

أما رومانيا، فكانت الشريك الأكثر حذرا وترددا في هذا المحور. فبالرغم من أن ملكها، كارول الأول، كان من عائلة هوهنتسولرن الألمانية ويرتبط بمعاهدة سرية مع الحلف الثلاثي منذ عام 1883، إلا أن الرأي العام والنخبة السياسية في رومانيا كانا يميلان ثقافيا نحو فرنسا. بالإضافة إلى ذلك، كانت لدى رومانيا مطالبات إقليمية كبيرة في إقليم ترانسيلفانيا الخاضع لحكم الإمبراطورية النمساوية-المجرية، حليفة ألمانيا. هذا التناقض جعل موقف بوخارست متقلبا. لكن من الناحية العسكرية، كان النفوذ الألماني هو المهيمن، إذ تم تجهيز الجيش الروماني إلى حد كبير بمدافع كروب وبنادق مانليخر النمساوية. وقد حاولت فرنسا اختراق هذا النفوذ عبر تقديم عروض مغرية لتزويد رومانيا بمدفعيتها الحديثة، لكنها لم تحقق نجاحا كبيرا في هذه الفترة. ظلت رومانيا تلعب على الحبلين، مستفيدة من التسليح الألماني مع الحفاظ على قنوات اتصال مفتوحة مع قوى الوفاق، وهو موقف انتهازي سيظهر بوضوح عندما غيرت ولاءها وانضمت إلى الوفاق في منتصف الحرب العالمية الأولى [32]. لقد كان المحور الألماني، على الرغم من قوته الظاهرية، يعاني من تناقضات داخلية عميقة؛ فالعداء التاريخي بين بلغاريا والدولة العثمانية، والشكوك الرومانية تجاه النمسا، جعلت من هذا التكتل حلفا قائما على المصلحة اللحظية أكثر من كونه تحالفا استراتيجيا متينا.

Bilad Alrafidain Journal of Humanities and Social Science Vol. 8, No. 1 ISSN: 2788-6026
Doi: 10.54720/bajhss/2026.080104 Pages: 32-45

المحور الثاني

النفوذ الفرنسي في صربيا واليونان (1908-1913)

عملت فرنسا بجد، بدعم من حليفتها روسيا، على بناء محور مضاد يهدف إلى تطويق قوى المركز من الجنوب الشرقي. كان هذا المحور يرتكز على دولتين أصبحتا، لدواع استراتيجية وقومية، العدوين اللدودين للمحور الألماني: صربيا واليونان. كانت صربيا هي الركيزة الأساسية لهذا المحور، والورقة الأهم في يد الوفاق في البلقان. فبعد الأزمة البوسنية عام 1908، التي شعرت فيها صربيا بالإهانة والعجز أمام الغطرسة النمساوية-الألمانية، تحولت بلغراد بالكامل إلى معسكر الوفاق، مدركة أن تحقيق حلم "صربيا الكبرى" (توحيد جميع الصرب في دولة واحدة) لا يمكن أن يتم إلا عبر مواجهة عسكرية حتمية مع فيينا. رأت فرنسا في صربيا أداة مثالية لإشغال الإمبراطورية النمساوية-المجرية وخلق جبهة ثالثة (بالإضافة إلى الجبهتين الفرنسية والروسية) في أي حرب أوروبية قادمة [33]. ولتحقيق هذا الهدف، فتحت باريس خزائنها وقدمت قروضا ضخمة لصربيا، التي استخدمتها في تنفيذ برنامج إعادة تسليح واسع النطاق. كان جوهر هذا البرنامج هو استبدال مدفعيتها القديمة بالكامل بالمدفع الفرنسي الثوري "شنايدر 75 ملم"، والذي منح الجيش الصربي مرونة وقوة نارية هائلة في معارك الميدان. بالإضافة إلى ذلك، تم تزويد الجيش الصربي ببنادق ماوزر الحديثة (المفارقة أنها كانت من إنتاج ألماني ولكن تم شراؤها عبر وسطاء). لقد تبنى الجيش الصربي، تحت إشراف المستشارين الفرنسيين والروس، عقيدة هجومية جريئة تعتمد على الروح المعنوية العالية للجندي (المستمدة من الانتصارات السابقة) وسرعة ومرونة مدفعية شنايدر في دعم هجمات المشاة. لقد تحول الجيش الصربي إلى قوة قتالية فعالة وذات خبرة، جاهزة لتحدي جارتها الإمبراطورية العملاقة [20].

أما اليونان، فكانت الشريك الثاني في هذا المحور. كانت هزيمتها المذلة أمام العثمانيين عام 1897 قد كشفت عن الحالة المزرية لجيشها، مما أدى إلى فترة من عدم الاستقرار السياسي بلغت ذروتها في انقلاب غودي العسكري عام 1909. أتى الانقلاب بالسياسي الكاريزمي إلفثيريوس فينيزيلوس إلى السلطة، والذي أطلق برنامجا طموحا للتحديث والإصلاح. أدرك فينيزيلوس أن تحقيق "فكرة ميغالي" (Megali Idea) – حلم توحيد جميع الأراضي اليونانية بما في ذلك تلك الموجودة في الدولة العثمانية – يتطلب جيشا وبحرية حديثين، وأن فرنسا وبريطانيا هما الحليفان الطبيعيان لتحقيق هذا الهدف. بناء على ذلك، دعا فينيزيلوس بعثة عسكرية فرنسية بقيادة الجنرال إيدو لإعادة تنظيم الجيش، وبعثة بحرية بريطانية لإعادة تنظيم البحرية [34]. وعلى غرار صربيا، قامت اليونان، بتمويل من قروض فرنسية، بإعادة تجهيز مدفعيتها بالكامل بمدافع "شنايدر-كانيه" (Schneider-Canet)، مما منحها تفوقا نوعيا على المدفعية العثمانية الأبطأ والأقدم. لقد كانت العقيدة العسكرية اليونانية الجديدة تركز على العمليات المشتركة بين الجيش والبحرية، واستغلال التفوق البحري للقيام بعمليات إنزال على السواحل العثمانية في بحر إيجه وقطع خطوط الإمداد، وهو تكتيك أثبت نجاحا باهرا في حرب البلقان الأولى.

وهكذا، عشية عام 1912، كان الاصطفاف واضحا. لقد خلقت سنوات من الدبلوماسية والقروض وصفقات السلاح محورين متنافسين بحدة. المحور الألماني، الذي يضم قوى (العثمانيون، البلغار، الرومانيون)، والمجهز بأسلحة كروب وسكودا والمحور الفرنسي، الذي يضم قوى التغيير الراديكالي (Radicalism) [35] (الصرب واليونانيون)، والمجهز بأسلحة شنايدر الثورية، والذي يتبنى عقيدة الحرب الهجومية السريعة. كان هذا الانقسام أعمق من مجرد تحالفات عسكرية؛ لقد كان صداما بين رؤيتين لمستقبل البلقان. ولم يكن الأمر يتطلب سوى شرارة صغيرة لإشعال هذا الخليط المتفجر، وهذه الشرارة جاءت في خريف عام 1912 عندما اتحدت دول المحور الفرنسي (مع حليفتهم المؤقتة بلغاريا) لشن حرب شاملة لطرد الدولة العثمانية من أوروبا مرة واحدة وإلى الأبد [36].

المبحث الرابع

أثر التنافس الألماني الفرنسي في حروب البلقان (١٩١٢-١٩١٤)

لم يكن التنافس الفرنسي-الألماني على تسليح دول البلقان مجرد تمرين دبلوماسي أو مناورة اقتصادية؛ بل كان إعدادا مباشرا للحرب. لقد كانت جيوش المنطقة بمثابة مختبرات ميدانية لاختبار فاعلية الأسلحة والعقائد العسكرية المتنافسة. جاءت حروب البلقان (1912-1913) لتكون بمثابة الاختبار الحقيقي والأكثر دموية لهذه النظريات والمعدات. لم تكن هذه الحروب مجرد صراعات إقليمية، بل كانت بمثابة "بروفة" مصغرة للحرب العالمية الأولى، إذ كشفت عن نقاط القوة والضعف في الأنظمة العسكرية المختلفة، وأدت إلى إعادة تشكيل جذرية لميزان القوى في برميل بارود أوروبا، مما كان له تداعيات مباشرة وحاسمة على حسابات القوى العظمى وهي

تتجه نحو الهاوية في صيف عام 1914. يحلل هذا الفصل كيف تجلت آثار سباق التسلح على أرض الواقع، وكيف أدى ميزان القوى الجديد الذي نتج عنه إلى زيادة احتمالية نشوب صراع أوروبي شامل.

المحور الأول

أثر نوعية السلاح والتدريب على أداء الجيوش في حربي البلقان (1912-1913)

اندلعت حرب البلقان الأولى في أكتوبر 1912، عندما شن الحلف البلقاني (الذي ضم بلغاريا وصربيا واليونان والجبل الأسود) هجوما منسقا ضد الدولة العثمانية. كانت النتائج الأولية للحرب بمثابة صدمة للمراقبين العسكريين الأوروبيين، وخاصة للألمان الذين أشرفوا على تدريب الجيش العثماني. لقد انهار الجيش العثماني في تراقيا ومقدونيا بسرعة مذهلة أمام هجمات الحلفاء. ويمكن إرجاع هذا الانهيار إلى مجموعة من العوامل، كان لسباق التسلح ونوعية التدريب دور حاسم فيها. فعلى الجبهة الصربية في مقدونيا، تجلت فعالية العقيدة الفرنسية ومدفعية شنايدر بشكل واضح في معركة كومانوفو. لقد استخدم الجيش الصربي مدفعيته الميدانية سريعة الطلقات بمرونة فائقة لدعم هجمات المشاة الجريئة، مما سمح له بتحقيق تفوق ناري محلي حاسم وسحق القوات العثمانية التي كانت مدفعيتها من طراز كروب أبطأ في معدل الإطلاق وأقل مرونة في الحركة [16]. لقد أثبتت الروح المعنوية العالية للجندي الصربي، المقترنة بسلاح فعال وعقيدة هجومية واضحة، تفوقها على الجيش العثماني الذي كان يعاني من ضعف القيادة، وسوء الخدمات اللوجستية، وعدم قدرته على استيعاب التكتيكات الألمانية المعقدة بشكل كامل.

على الجبهة البلغارية في تراقيا، كانت الصورة مختلفة ولكنها أكدت أيضا أهمية التجهيز المناسب. لقد حقق الجيش البلغاري، المنظم على الطراز الألماني، انتصارات ساحقة في معارك مثل لوكه بورغاس وتشاتالجا. كان تفوق البلغار يكمن في تنظيمهم الممتاز وانضباطهم، وقدرتهم على حشد قواتهم بسرعة، والأهم من ذلك، امتلاكهم لمدفعية حصار ثقيلة من طراز كروب وسكودا، والتي استخدموها بنجاح باهر في حصار مدينة أدرنة المنيعة، مما أدى في النها-ية إلى استسلام حاميتها العثمانية الكبيرة. لقد أظهر البلغار أنهم التلميذ النجيب للنموذج الألماني، إذ طبقوا دروسه في التخطيط والقوة النارية بشكل فعال [18]. وفي الوقت نفسه، على الجبهة الجنوبية، استغل الجيش اليوناني، الذي أعادت البعثة الفرنسية تنظيمه، تفوقه البحري (الذي تم بناؤه بمساعدة بريطانية) للسيطرة على بحر إيجه، والقيام بعمليات إنزال ناجحة، وعزل القوات العثمانية، والاستيلاء على مدينة سالونيك الاستراتيجية. لقد كانت حرب البلقان الأولى بمثابة إدانة واضحة للجيش العثماني الذي فشل، على الرغم من عقود من محاولات التحديث الألمانية، في التحول إلى قوة قتالية حديثة وفعالة، بينما كانت بمثابة شهادة نجاح باهرة لجيوش البلقان التي استوعبت الدروس الفرنسية والألمانية بشكل أفضل وطبقتها بحماس قومي متقد [37].

لم يدم انتصار الحلف البلقاني طويلا. فسرعان ما دب الخلاف بين الحلفاء المنتصرين حول كيفية تقسيم غنائم مقدونيا. أدى هذا الخلاف إلى اندلاع حرب البلقان الثانية في يونيو 1913، عندما شنت بلغاريا، التي شعرت بالغبن من تقسيم الغنائم، هجوما غادرا على حلفائها السابقين، صربيا واليونان. شهدت هذه الحرب انعكاسا للتحالفات؛ إذ انضمت رومانيا والدولة العثمانية إلى الحرب ضد بلغاريا. كانت هذه الحرب قصيرة ولكنها وحشية للغاية. تعرض الجيش البلغاري، المنهك من الحرب الأولى، لهزيمة ساحقة على يد القوات الصربية واليونانية المشتركة. مرة أخرى، لعبت مدفعية شنايدر الصربية دورا حاسما في معركة "بريغالنيكا"، إذ تفوقت نيرانها السريعة على المدفعية البلغارية. لقد كانت الهزيمة كارثية لبلغاريا، التي خسرت معظم الأراضي التي كسبتها في الحرب الأولى، وتركتها معزولة ومفعمة بالمرارة والرغبة في الانتقام، وهو ما سيدفعها لاحقا للانضمام إلى قوى المركز في الحرب العالمية الأولى. لقد كانت حروب البلقان درسا قاسيا في أهمية ليس فقط امتلاك السلاح الحديث، بل أيضا القدرة على استخدامه بفعالية ضمن عقيدة متماسكة، وأهمية الدبلوماسية في الحفاظ على التحالفات [38].

المحور الثاني

إعادة تشكيل ميزان القوى العسكرية الجديد في البلقان قبيل أزمة سراييفو وانعكاساته على استراتيجيات القوى العظمى

خرجت صربيا من حربي البلقان كقوة إقليمية منتصرة ومحترمة. لقد تضاعفت مساحة أراضيها وعدد سكانها تقريبا، واكتسب جيشها خبرة قتالية هائلة وثقة بالنفس لا حدود لها، وأصبح ينظر إليه كقوة عسكرية لا يستهان بها. هذا الصعود الدراماتيكي لصربيا غير ميزان القوى في البلقان بشكل جذري، وكان له تداعيات مباشرة على حسابات القوى العظمى. بالنسبة لفرنسا وروسيا، كان هذا التطور بمثابة نجاح باهر لاستراتيجيتهما. لقد أصبح لديهما الآن حليف قوي وذو خبرة في خاصرة الإمبراطورية النمساوية-المجرية، حليف يمكن الاعتماد عليه لإشغال جزء كبير من الجيش النمساوي في حال نشوب حرب أوروبية. لقد شجع هذا النجاح الصقور في سانت بطرسبرغ وباريس على اتخاذ موقف أكثر تشددا تجاه قوى المركز [29].

كانت النتائج كارثية بالنسبة لفيينا وبرلين. لقد شاهدت الإمبراطورية النمساوية-المجرية، بقلق متزايد، صعود بييمونتي سلافية معادية على حدودها الجنوبية، دولة أصبحت الآن تشكل تهديدا وجوديا لوحدة أراضيها بسبب جاذبيتها للقوميين السلاف الجنوبيين داخل الإمبراطورية. لقد أصبح القادة العسكريون والسياسيون في فيينا، وعلى رأسهم رئيس الأركان كونراد فون هوتزيندورف، مقتنعين بأن شن حرب وقائية لسحق صربيا هو الخيار الوحيد المتبقي لإنقاذ الإمبراطورية من التفكك. لقد أدت هزيمة حلفائهم (العثمانيين والبلغار) إلى إضعاف موقفهم الاستراتيجي بشكل كبير. أما في برلين، فقد كانت هناك أيضا حالة من القلق. لقد أظهرت حروب البلقان ضعف حليفهم العثماني، مما أثار الشكوك حول قدرته على لعب دور فعال في أي حرب قادمة. كما أن صعود صربيا القوي هدد حليفتهم الرئيسية، النمسا-المجر. هذا الوضع دفع هيئة الأركان الألمانية إلى استنتاج مفاده أن ميزان القوى العسكري في أوروبا يتجه ببطء ولكن بثبات لصالح الوفاق، خاصة مع استمرار برنامج إعادة التسليح الروسي الضخم (البرنامج الكبير). تولد لديهم شعور بأن الوقت ليس في صالحهم، وأنه إذا كانت الحرب حتمية، فمن الأفضل خوضها عاجلا وليس آجلا، قبل أن تكتمل استعدادات روسيا [2].

عندما جاء اغتيال الأرشيدوق فرانز فرديناند في سراييفو في 28 يونيو 1914 على يد قومي صربي، لم تكن هذه الحادثة هي "سبب" الحرب، بل كانت الشرارة التي أشعلت برميل البارود الذي تم ملؤه على مدى سنوات من سباق التسلح، والأزمات الدبلوماسية، والتحالفات المتصلبة. لقد وفر الاغتيال للنمسا-المجر الذريعة التي كانت تبحث عنها لسحق صربيا. وعندما أصدرت فيينا إنذارها المهين لبلغراد، كانت حساباتها مبنية على ميزان القوى الجديد الذي أفرزته حروب البلقان. لقد كانوا يعلمون أن الحرب مع صربيا تعني على الأرجح حربا مع روسيا، لكنهم كانوا يأملون أن الدعم الألماني القوي (الشيك على بياض) سيردع روسيا أو يضمن لهم النصر. في المقابل، كانت ثقة روسيا في دعم صربيا مبنية على الأداء الرائع للجيش الصربي في حروب البلقان. لم تعد روسيا مستعدة لقبول إذلال دبلوماسي آخر كما حدث في 1908. لقد كان ميزان القوى الجديد الذي خلقه التنافس الفرنسي-الألماني على تسليح البلقان هو الذي أعطى كلا من الطرفين الثقة (أو الوهم) بالقدرة على تحقيق أهدافه بالقوة. وهكذا، تحولت أزمة إقليمية كان يمكن احتواؤها إلى صراع عالمي، إذ أدت سلسلة من قرارات التعبئة العسكرية، المبنية على خطط حربية جامدة وحسابات دقيقة لميزان القوى، إلى جر القارة بأكملها إلى حرب دمرت جيلا كاملا وأنهت العالم الأوروبي القديم إلى الأبد [20] [36].

الخاتمة

الاستنتاجات:

1. لم يكن التنافس الفرنسي-الألماني على تسليح دول البلقان مجرد حدث جانبي، بل كان محركا أساسيا ومحورية ساهمت بشكل مباشر في تهيئة الظروف لاندلاع الحرب العالمية الأولى.
2. أفرز هذا السباق انقساما عسكريا واضحا في المنطقة، إذ تشكل محور موال لألمانيا يضم الدولة العثمانية وبلغاريا، ومحور مضاد مدعوم من فرنسا يضم صربيا واليونان، مما عمق الاستقطاب الإقليمي.
3. شكلت حروب البلقان (1912-1913) مختبرا ميدانيا أثبت تفوق النموذج العسكري الفرنسي (المنقول إلى صربيا) من إذ العقيدة الهجومية وفعالية المدفعية سريعة الطلقات، وكشفت في المقابل عن ضعف النموذج الألماني المطبق على الجيش العثماني.
4. أدت نتائج حروب البلقان إلى زلزال جيوسياسي تمثل في صعود صربيا كقوة إقليمية مؤثرة وهزيمة حلفاء ألمانيا (الدولة العثمانية وبلغاريا)، وهو ما غير بشكل جذري ميزان القوى عشية أزمة سراييفو.
5. التأثير المباشر على قرار الحرب: أثر هذا الواقع الجديد بشكل مباشر على حسابات القوى العظمى في يوليو 1914، إذ دفع النمسا-المجر إلى حتمية الحرب الوقائية ضد صربيا، وشجع روسيا على دعم حليفتها بقوة، وعزز لدى ألمانيا الشعور بأن الوقت ليس في صالحها، مما قلص الخيارات الدبلوماسية ودفع الجميع نحو المواجهة العسكرية.
6. أثبتت هذه الحالة أن سباقات التسلح الإقليمية التي تغذيها القوى الكبرى لا تؤدي بالضرورة إلى الردع، بل يمكن أن تخلق وقائع جديدة على الأرض تزيد من جرأة الأطراف وتجعل خيار الحرب يبدو أكثر ترجيحا وحتمية.

المقترحات والتوصيات:

في ضوء نتائج البحث، يمكن تقديم المقترحات الآتية

1. إجراء دراسات مقارنة معمقة لتحليل كيفية استيعاب وتطبيق العقائد العسكرية الفرنسية والألمانية من قبل جيوش دول البلقان على المستوى الميداني والتكتيكي، وكيف أثر ذلك على أداء الوحدات الصغيرة في المعارك.

2. توسيع نطاق البحث الجغرافي: توسيع نطاق البحث ليشمل دور القوى الأخرى في تسليح المنطقة، مثل الدور الذي لعبته شركة "سكودا" النمساوية-المجرية، أو محاولات بريطانيا وروسيا تزويد بعض دول البلقان بالسلاح، للحصول على صورة أكثر شمولية.
3. التعمق في دراسة الآليات المالية التي رافقت صفقات السلاح، ودور البنوك الفرنسية والألمانية في تقديم القروض المشروطة، وكيف أدى ذلك إلى تبعية اقتصادية وعسكرية لهذه الدول.
4. دراسة الأرشيفات الأولية للشركات: البحث في الأرشيفات الخاصة بشركتي "كروب" و"شنايدر"، والمراسلات الدبلوماسية بين الحكومات وهذه الشركات، للكشف عن تفاصيل عمليات التفاوض والضغط السياسي الذي كان يمارس لإتمام هذه الصفقات.
5. استخدام البحث كدراسة حالة معاصرة: يمكن استخدام نتائج هذا البحث كنموذج تاريخي لفهم الصراعات الإقليمية المعاصرة، وكيف يمكن أن يؤدي تدخل القوى العظمى عبر مبيعات الأسلحة إلى تأجيج التوترات وتحويل الصراعات المحلية إلى أزمات دولية.

المصادر

[1] فشر، ف. (د.ت). تاريخ أوروبا في العصر الحديث 1789 – 1950. (ترجمة أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع). القاهرة.
[2] Fay, S. B. (1966). The Origins of the World War (2 Vols). London, Vol. 1.
[3] Taylor, A. J. P. (1954). From Napoleon to Stalin, Comments on European History.
[4] داودي &, مصطفى. (2021). القائد) أوتو فون بسمارك(Otto Von Bismarck ، ودوره في تجسيد مشروع الوحدة الألمانية (1861–1871م) The leader (Otto Von Bismarck), and his role in the embodiment of the German unification project (1861-1871). *مجلة الدراسات التاريخية*, *23*(1),. 260-291.
[5] جرانت، وهارولد تمبرلي. (1967). أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين. (ج2، ترجمة بهاء فهمي، والثاني ترجمة محمد علي أبو درة ولويس إسكندر). القاهرة، ج2.
[6] عبد العزيز سليمان نوار. (دكتور). التاريخ المعاصر لأوروبا من الحرب الروسية الفرنسية حتى الحرب العالمية الثانية. القاهرة، 1977.
[7] Rose, A. (1970). Imperial Germany, the Birth of the German Republic. U. S. A.
[8] حسون، علي. (1982). العثمانيون والروس. بيروت.
[9] سلمان، حاتم أحمد إسماعيل. (2013). العلاقات العثمانية الروسية 1876-1909. رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الموصل.
[10] Black, C. E. & Helmreich, E. (1962). Twentieth Century Europe. New York.
[11] Stevenson, D. (2019). The Field Artillery Revolution and the European Military Balance, 1890–1914. The International History Review.
[12] Turkmen, Z. (2017). Developments in Military Procurement of the Ottoman Army from an International Symposium on Gaziosman Pasha's Era. Gaziosmanpaşa University.
[13] الوائلي، طاهر يوسف؛ وآخرون. (2009). التحالف العثماني الألماني ومعاهدة 1914 السرية. مجلة كلية التربية، جامعة المستنصرية، العدد 1.
[14] طالب، جمال صبحي. (2021). المؤسسة العسكرية العثمانية 1839-1909م دراسة تاريخية. (ط1). دار نغم للنشر الأردنية.
[15] Alkan, I. (2011). The First German Military Delegation in the Era of Abdulhamid II: Otto von Kaehler and the Expectation of Both Sides. Istanbul University, Faculty of Literature Department of History.
[16] Topal, A. E. (2013). The effects of German Military Commission and Balkan wars on the reorganization and modernization of the Ottoman Army (Doctoral dissertation). Monterey, California: Naval Postgraduate School.
[17] Ozyildiz, Y. (2024). The German Military Delegation in the Ottoman Army: From Colonel Helmuth von Moltke to Colonel Liman von Sanders. Ankara University Ottoman History Research and Application Center Journal, 4.
[18] Höpken, W. (2018). The Balkan Wars in the History of Twentieth-Century European Warfare. In The Wars of Yesterday: The Balkan Wars and the Emergence of Modern Military Conflict, 1912-13.
[19] Hall, R. C. (2010). Consumed by war: European conflict in the 20th century. University Press of Kentucky.
[20] Stevenson, D. (2012). Armaments and the Coming of War: Europe, 1904-1914. Oxford University Press.

[21] علي عمر جلال, ساره, عبدالحميد الحناوي & ,سعد الدين سيد. (2020). معاهدة السلام اليابانية-الأمريكية في مؤتمر سان فرانسيسكو 1951م .المجلة العلمية لكلية الآداب-جامعة أسيوط.74-55 ,(76)24

[22] بكر عبد ربه حسين. (2021). السياسة الصليبية والتبشيرية للبابا أوربان الخامس تجاه مملكة بلغاريا الثانية (1363-1370م) .سوبک للدراسات التاريخية والحضارية.93-65 ,(1)2 ,

[23] Rose, J. H. (2022). The Development of the European Nations, 1870-1914. DigiCat.

[24] عثمان، معن. (1991). السلطان عبد الحميد الثاني في الذاكرة العربية. دار الأصول، مكة.

[25] كينان، جورج. (1966). روسيا تخطت عن الحرب. (ترجمة عادل شفيق). القاهرة.

[26] حسنين، زينب عبد العاطي. (2014). دخول الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى 1914 دراسة في الظروف والأسباب. رسالة ماجستير، جامعة المستنصرية، بغداد.

[27] Dupuy, Q.B. (1985). Geniuses of War, the Army and the General Staff in Germany 1807-1945. Translated by: Hassan Hassan Arab Institute for Studies and Publishing, Beirut.

[28] العسلي، بسام. (1987). المذهب العسكري العثماني 1750-1945. دمشق.

[29] Mulligan, W. (2014). The great war for peace. Yale University Press.

[30] سعدون، خالد بن حمود. (2008). الصراع حول رأس الخليج العربي مطلع القرن العشرين. الدار العربية للموسوعات، عمان.

[31] البطريق، عبد الحميد. (دكتور). التطورات السياسية المعاصرة 1815 – 1960. القاهرة، 1980.

[32] Seton-Watson, H. (1950). From Lenin to Malenkov, the History of World Communism.

[33] يحيى، جلال. (الدكتور). العالم المعاصر. الإسكندرية، 1976.

[34] محمد رفعت. تاريخ حوض البحر المتوسط وتياراته السياسية. القاهرة، 1959.

[35] علي سفيان عبدالل. (2024). دور الحركات الراديكالية في زعزعة استقرار الانظمة السياسية (مصر انموذجا) . Journal of Kufa Legal & Political Science, 16(61).

[36] Hart, L. (1976). History of the First World War. London.

[37] Ahmed, Kamal Mazhar. (2019). Kurdistan In the years of World War I. Translated by Muhammad Al-Mulla Abdul Karim and co, Baghdad.

[38] Carr, E. H. (1940). International Relations since the Peace Treaties.